ويقسم سهم الفقراء والمساكين من صدقة ما حول كل مدينة في أهلها ولا يخرج منها فيتصدق به على أهل مدينة أخرى، وأما غيره فيصنع به الإمام ما أحب من هذه الوجوه التي سمى اللّه تعالى في كتابه، وإن صيرها في صنف واحد ممن سمى اللّه تعالى أجزأ.

٦ ـ الأمين

هو محمد الأمين بن هارون الرشيد وأمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور فهو هاشمي أباً وأماً ولم يتفق ذلك لغيره من الخلفاء إلا لعلي بن أبي طالب رضي اللّه عنه ولابنه الحسن.

ولد (سنة ١٧٠) من الهجرة وولاه أبوه العهد (سنة ١٧٥)، وكان قائماً مقام أبيه ببغداد حينما سافر إلى خراسان، ولما مات الرشيد بطوس بويع له في عسكر الرشيد بالخلافة ووصل الخبر إلى بغداد فبايعه الخاصة والعامة واستمر في الخلافة إلى أن قتل في (٢٥ محرم سنة ١٩٨ ـ ٥ سبتمبر سنة ٨١٣) فكانت مدته أربع سنوات إلا أربعة أشهر تقريباً.

الحال الداخلية لذلك العهد:

كانت هذه المدة التي وليها الأمين مملوءة بالمشاكل والاضطرابات بين الأخوين الأمين والمأمون وكادت الأمة تذهب بينهما ضياعاً وسبب ذلك ما فعله الرشيد من ولاية العهد لأولاده الثلاثة أحدهم بعد الآخر وقسمته البلاد بينهم كما قدمنا ونحن نبين كيف ابتدأت المشاكل وكيف انتهت ونبين آثارها في الأمة:

لما كان الرشيد بطوس جدد البيعة لابنه المأمون على القواد الذين معه وأشهد من معه من القواد وسائر الناس أن جميع من معه من الجند مضمومون إلى المأمون وأن جميع ما معه من مال وسلاح وآلة وغير ذلك للمأمون ولما علم الأمين وهو ببغداد مرض أبيه وأنه لمآبه أرسل من يفيده الأخبار كل يوم وأرسل كتباً تسلم إلى من أرسلت إليه بعد وفاة الرشيد فلما توفي كان من تلك الكتب كتاب للمأمون يعزيه فيه عن أبيه ويأمره أن يأخذ البيعة على من قبله للأمين بالخلافة وللمأمون بولاية العهد والقاسم المؤتمن بعده. ومنها كتاب لصالح بن الرشيد وقد كان أكبر ولد الرشيد الذين معه وهو الذي صلى عليه حين مات وقد أمره فيه بالاجتهاد والتشمير وأن يأخذ البيعة على من معه للأمين ثم المأمون ثم المؤتمن على الشريطة التي اشترطها الرشيد وأمره بالمسير إليه مع جميع الجنود والذخائر والسلاح وقال له في الكتاب وإياك أن تنفذ رأياً أو تبرم أمراً إلا برأي شيخك وبقية آبائك الفضل بن الربيع وفيه: وإن أمرت لأهل العسكر بعطاء أو أرزاق فليكن الفضل بن الربيع المتولي لإعطائهم على دواوين يتخذها لنفسه بمحضر من أصحاب الدواوين فإن الفضل بن الربيع لم يزل مثل ذلك لمهمات الأمور.

لما قرأ الذين وردت عليهم كتب محمد الأمين بطوس من القواد والجند وأولاد هارون تشاوروا في اللحاق بمحمد فقال الفضل بن الربيع: لا أدع ملكاً حاضراً لآخر لا يدرى ما يكون من أمره، وأمر الناس بالرحيل ففعلوا ذلك محبة منهم للحوق بأهلهم ومنازلهم ببغداد وتركوا العهود التي كانت أخذت عليهم للمأمون.

انتهى خبر ذلك إلى المأمون وهو بمرو فجمع من معه من قواد أبيه واستشارهم فأشاروا عليه أن يلحقهم في ألفي فارس تجريدة فيردهم فدخل عليه الفضل بن سهل وهو عنده من أعظم الناس قدراً وأخصهم به فقال له: إن فعلت ما أشاروا به عليك جعلت هؤلاء هدية إلى محمد ولكن الرأي أن تكتب إليهم كتاباً وتوجه إليهم رسولاً فتذكرهم البيعة وتسألهم الوفاء وتحذرهم الحنث وما يلزمهم في ذلك في الدين والدنيا فعل ذلك المأمون ووصل الكتاب والقوم بنيسابور قد رحلوا ثلاث مراحل فلم يفد هذا الجواب فائدة وتم الفضل بن الربيع على سيره.

ولما جاء المأمون خبر ذلك كان الفضل بن سهل حاضراً فأزال عنه الانزعاج وأمله في الخلافة فجعل أمره إليه وأمره أن يقوم به بعد أن رفضه كبار القواد الذين معه فكان من أول تدبيره أن يبعث إلى من بالحضرة من الفقهاء فيدعوهم إلى الحق والعمل به وإحياء السنة وأن يقعد على اللبود ويرد المظالم ليكون بذلك قريباً من نفوس الجمهور ففعل.

ولم يبدأ المأمون أخاه بشيء يريبه بل تواترت كتبه إليه بالتعظيم والهدايا إليه من طرف خراسان من المتاع والآنية والمسك والدواب والسلاح.

أما الأمر في بغداد فقد كان يدل على شر مستطير فإن الفضل بن الربيع بعد مقدمه العراق ناكثاً للعهود التي كان الرشيد أخذها عليه للمأمون رأى أن الخلافة إن أفضت إلى المأمون يوماً وهو حي لم يبق عليه فحث محمداً على خلفه وأن يولي العهد من بعده ابنه موسى ولم يكن ذلك من رأي محمد ولا عزمه بل كان عزمه الوفاء لأخويه بما أخذ عليه الرشيد لهما من العهود فلم يزل به الفضل حتى أزاله عن رأيه فأول ما بدأ به أن كتب إلى جميع العمال في الأمصار كلها بالدعاء لابنه موسى بالإمرة بعد الدعاء له وللمأمون والقاسم. فلما بلغ ذلك المأمون وبلغه أن الأمين عزل أخاه القاسم عما كان الرشيد ولاه من الأعمال وأقدمه بغداد علم أنه يدبر في خلعه فقطع البريد عنه وأسقط اسمه من الطرار.

كرر الأمين تجربته فكتب إلى العباس بن عبد الله بن مالك وهو عامل المأمون على الري وأمره أن يبعث إليه بغرائب غروس الري مريداً بذلك امتحانه فبعث إليه بما طلب فبلغ ذلك المأمون فعزل العباس عن ولايته.

ثم بعث الأمين إلى المأمون ثلاثة نفر أحدهم العباس بن موسى بن عيسى والغرض من هذا الوفد أن يطلبوا من المأمون رضاه بتقديم موسى بن الأمين على نفسه في ولاية العهد فلما اطلع المأمون على مرادهم رد ذلك وأباه، وعرض الفضل بن سهل على العباس بن موسى أن يكون عوناً لهم ومنوه الأماني إن هو أجاب إلى ذلك فرضي وكان بعد ذلك يكتب إليهم بالأخبار ويشير عليهم بالرأي عاد الوفد إلى الأمين وأخبروه بامتناع المأمون.

لم يخفض ذلك من غلواء الفضل بن الربيع بل ما زال يلح على الأمين حتى رضي أن يخلع المأمون ويبايع لابنه موسى بولاية العهد. ونهى الفضل عن ذكر المأمون والقاسم والدعاء لهما على شيء من المنابر ووجه إلى مكة كتاباً مع رسول من حجبة البيت في أخذ الكتابين اللذين كتبهما هارون وجعلهما بالكعبة فأحضرهما إلى بغداد فمزقا.

وكان الأمين قبل أن يكاشف أخاه بذات نفسه أرسل إليه يسأله أن يتجافى له عن كور من كور خراسان سماها وأن يوجه العمال إليها من قبل محمد وأن يحتمل توجيه رجل من قبله يوليه البريد عليه ليكتب إليه بخبره فكتب إليه جواب ذلك:

بلغني كتاب أمير المؤمنين يسأل التجافي عن مواضع سماها مما أثبته الرشيد في العقد وجعل أمره إلي وما أمره رآه أمير المؤمنين أحد يجاوز أكثره غير أن الذي جعل إلى الطرف الذي أنا به لا ظنين في النظر لعامته ولا جاهل بما أسند إلى من أمره ولو لم يكن ذلك مثبتاً بالعهود والمواثيق المأخوذة ثم كنت على الحال التي أنا عليها من إشراف عدو مخوف الشوكة وعامة لا تتألف عن هضمها وأجناد لا يستتبع طاعتها إلا باللأموال وطرف من الأفضال لكان في نظر أمير المؤمنين لعامته وما يحب من أطرافه ما يوجب عليه أن يقسم له كثيراً من عنايته وأن يستصلحه ببذل كثير من ماله فكيف بمسألة ما أوجبه الحق ووكدته مأخوذة العهد؟ وإني لأعلم أن أمير المؤمنين لو علم من الحال ما علمت لم يطلع ما كتب بمسألته إلي ثم أنا على ثقة من القبول بعد البيان إن شاء الله.

وكان المأمون قد وجه حارسه إلى الحد فلا يجوز رسول من العراق حتى يوجهوه مع ثقات من الأمناء ولا يدعه يستعلم خبراً ولا يؤثر أثر ولا يستتبع بالرغبة ولا بالرهبة أحداً ولا يبلغ أحداً قولاً ولا كتاباً ـ فحصر أهل خراسان من أن يستمالوا برغبة أو أن نودع صدورهم رهبة ويحملوا على منوال خلاف أو مفارقة ـ ثم وضع على مراصد الطرق ثقات من الحراس لا يجوز عليهم إلا من لا يدخل الظنة في أمره ممن أتى بجواز في مخرجه إلى دار مآبه أو تاجر معروف مأمون في نفسه ودينه ومنع الأشتاتات من جواز السبل والقطع بالمتاجر والوغول في البلدان في هيئة الطارئة والسابلة وفتشت الكتب. هكذا دبر الفضل بن سهل أمر صاحبه فلم يدع للفضل بن الربيع مجالاً

لرسله ورواده أن يبثوا شيئاً في عامة أهل خراسان ولما أتت رسل الأمين بجواب كتب الأمين وجدوا جميع ما كانوا يؤملونه ممنوعاً عنهم موصداً بابه دونهم. وكان كتاب الأمين للمأمون:

(أما بعد فإن أمير المؤمنين الرشيد وإن كان أفردك بالطرف وضم ما ضم إليك من كور الجبل تأييداً لأمرك وتحصيناً لطرفك فإن ذلك لا يوجب لك فضلة المال عن كفايتك وقد كان هذا الطرف وخراجه كافياً لحدثه ثم تتجاوز بعد الكفاية إلى ما يفضل من رده وقد ضم لك إلى الطرف كوراً من أمهات كور الأموال لا حاجة لك فيها فالحق فيها أن تكون مردودة في أهلها ومواضع حقها فكتبت إليك أسألك رد تلك الكور إلى ما كانت عليه من حالها ليكون فضول ردها مصروفاً إلى مواضعها وأن تأذن لقائم بالخير بحضرتك يؤدي إلينا علم ما نعني به من خبر طرفك فكتبت تطلب دون ذلك بما تم أمرك عليه صيرنا الحق إلى مطالبتك فاثن عن همك أثن عن مطالبتك إن شاء اللّه) فلما قرأ المأمون كتابه كتب إليه:

(أما بعد فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين ولم يكتب فيما جهل فأكشف له عن وجهه ولم يسأل ما لا يوجبه حق فيلزمني الحجة بترك إجابته وإنما يتجاوز المناظران أن منزلة النصفة ما ضاقت النصفة عن أهلها فمتى تجاوز متجاوزها وهو موجود الوسع ولم يكن تجاوزها إلا عن نقضها واحتمال ما في تركها فلا تبعثني يا ابن أبي على مخالفتك وأنا مذعن بطاعتك ولا على قطيعتك وأنا على إيثار ما تحب من صلتك وارض بما حكم به الحق في أمرك أكن بالمكان الذي أنزلني به الحق فيما بيني وبينك والسلام).

فلما وصل الكتاب إلى الأمين اشتد غيظه وعند ذلك أمر بعدم الدعاء له على المنابر وكتب إليه:

(أما بعد فقد بلغني كتابك غامطاً لنعمة اللّه عليك فيما مكن لك من ظلها متعرضاً لحراق نار لا قبل لك بها ولحظك عن الطاعة كان أودع وإن كان قد تقدم مني متقدم فليس بخارج من مواضع نفعك إذ كان راجعاً على العامة من رعيتك وأكثر من ذلك ما يمكن لك من منزلة السلامة ويثبت لك من حال الهدنة فأعلن رأيك اعمل عليه إن شاء اللّه.

لم يكن لهذه المكاتبات بين الأخوين نتيجة لأنه كان لكل منهما سائق يسوقه فللأمين الفضل بن الربيع الذي لم يكن يحب المأمون ولا ولايته وللمأمون الفضل ابن سهل الذي كان يأمل الخلافة لصاحبه وأن تكون مرو حاضرة الخلافة العظمى وتعود لخراسان عظمتها.

بلغ المأمون ما أقدم عليه أخوه من خلعه عن ولاية العهد وترك الدعاء له فكان أول ما فعله الفضل بن سهل من التدبير أن جمع الأجناد التي كان أعدها بجنبات الري مع أجناد قد كان مكنها

فيها وأجناد للقيام بأمرهم وأقامهم بالحد لا يتجاوزونه ولا يطلقون يداً بسوء في عامة ولا مجتاز ثم اختاره لقيادة الجند طاهر بن عيسى الخزاعي مولاهم فسار طاهر مغذاً لا يلوي على شيء حتى ورد الري فنزلها ووكل بأطرافها ووضع مسالحه وبث عيونه وطلائعه.

أما الفضل بن الربيع فإنه اختار لجند العراق علي بن عيسى بن ماهان وولاه الأمين كور الجبل كلها نهاوند وهمذان وقم وأصبهان وأعطى جنده من الأرزاق شيئاً كثيراً وأمدهم بالسلاح والعدة فشخص من بغداد في منتصف جمادى الآخرة (سنة ١٩٥) وكان معه زهاء أربعين ألفاً وحمل معه قيد فضة ليقيد به المأمون كما شاءت زبيدة أم الأمين وقد خدم الأمين أخاه بهذا التعيين خدمة عظيمة فإن أهل خراسان لم ينسوا ما عاملهم به علي بن عيسى من الفظائع مدة ولايته في عهد الرشيد فكان تعيينه لحربهم مما أثار في قلوبهم الحمية لرد هذا العدو بعد أن أبدلهم الله خيراً منه عدلاً ورفقاً وحسن سياسة وهو عبد الله المأمون ومما كان ينذر بالشر جند الأمين عدم احتفال قائده بلقاء عدوه فإنه لما بلغه أن طاهر بن الحسين مقيم بالري كان يضحك ثم يقول: وما طاهر فوالله ما هو إلا شوكة من أغصاني أو شرارة من ناري وما مثل طاهر يتولى على الجيوش ويلقى الحروب ثم التفت إلى أصحابه فقال: والله ما بينكم وبين أن ينقصف انقصاف الشجر من الريح العاصف إلا أن يبلغه عبورنا عقبة همذان فإن السخال لا تقوى على النطاح والثعالب لا صبر لها على لقاء الأسد فإن يقم طاهر بموضعه يكن أول معرض لظبات السيوف وأسنة الرماح. ولما صار في أول بلاد الري أتاه صاحب مقدمته وقال: لو كنت أبقى الله الأمير أذكيت العيون وبعثت الطلائع وارتدت موضعاً تعسكر فيه وتتخذ خندقاً لأصحابك يأمنون به كان ذلك أبلغ في الرأي وآنس للجند ـ فقال: لا، ليس مثل طاهر يستعد له بالمكايد والتحفظ إن حال طاهر تؤول إلى أحد أمرين إما أن يتحصن بالري فيبهته أهلها فيكفونا مؤنته أو يخيلها ويدبر راجعاً لو قربت خيولنا وعسكرنا منه ـ وأتاه يحيى بن علي فقال: اجمع متفرق العسكر واحذر على جندك البيات ولا تسرح الخيل إلا ومعها كنف من القوم فإن العساكر لا تساس بالتواني والحروب لا تدبر بالاغترار؛ والثقة أن تحترز ولا تقل المحارب لي طاهر، فالشرارة الخفية ربما صارت ضراماً والثلمة من السيل ربما اغتر بها فتهون فصارت بحراً عظيماً وقد قربت عساكرنا من طاهر فلو كان رأيه الهرب لم يتأخر إلى يومه هذا. فقال: اسكت فإن طاهراً ليس في هذا الموضع الذي ترى وإنما يتحفظ الرجال إذا لقيت أقرانها وتستعد إذا كان المناوىء لها أكفاءها ونظراءها.

وبينما كان هذا القائد يسير مدلاً بنفسه وبمن معه مستخفاً بعدوه كان طاهر يدبر أمره مع قواده ويسير سير من يريد مواقعة عدو أكثر منه عدداً وعدة وقد استقر رأيه على أن يجعل مدينة الري وراء ظهره ويقاتل بعيداً عنها فعسكر على خمسة فراسخ منها وأقبل إليه علي بن الحسين وقد

عباً جنده وهم في أكمل عدة وأحسن زي فكتب طاهر كتائبه وكردس كراديسه وسوى صفوفه وجعل يمر بقائد قائد وجماعة جماعة يعظهم ويثبتهم ثم تلاحم الفريقان واقتتلوا قتالاً شديداً فعلت ميمنة علي ميسرة طاهر ففضتها فضاً منكراً وميسرته على ميمنته فأزالتها عن موضعها فقال طاهر: اجعلوا بأسكم وجدكم على كراديس القلب فإنكم لو قد فضضتم منهم راية واحدة رجعت أوائلها على أواخرها فصبر أصحابه صبراً صادقاً ثم حملوا على أولى رايات القلب فهزموهم وأكثروا فيهم القتل ورجعت الرايات بعضها على بعض ورأى أصحاب ميمنة طاهر وميسرته ما عمل أصحابه فرجعوا على من كان في وجوههم فهزموهم وانتهت الهزيمة إلى علي ورماه رجل من أصحاب طاهر بسهم فقتله ووضعوا فيهم السيوف حتى حال الليل بينهم وبين الطلب وغنموا غنيمة كثيرة ونادى طاهر في أصحاب علي: من وضع سلاحه فهو آمن فطرحوا أسلحتهم ونزلوا عن دوابهم وعاد طاهر إلى الري وكتب إلى الفضل بن سهل ـ أطال اللّه بقاءك وكبت أعداءك وجعل من يشنأك فداءك فداءك كتبت إليك ورأس علي بن عيسى في حجري وخاتمه في يدي والحمد للّه رب العالمين ـ فلما وصل الكتاب إلى الفضل نهض فسلم على المأمون بأمير المؤمنين ـ وأمد طاهراً بالرجال والقواد وسماه ذا اليمنين وصاحب حبل الدين.

وصل هذا الخبر بغداد على غير ما ينتظر القوم فانتخب الأمين جيشاً ثانياً جعله تحت قيادة عبد الرحمٰن بن خبلة الأنباري وعدة هذا الجيش عشرون ألف رجل من الأبناء وحمل معه الأموال وقواه بالسلاح والخيل وأجازه بجوائز وندب معه فرسان الأبناء وأهل البأس والنجدة والغناء منهم وأوصى قائده بالتحفظ والاحتراس وترك ما عمل به علي بن عيسى من الاغترار والتضجع فسار عبد الرحمٰن حتى نزل همذان فضبط طرقها وحصن سورها وأبوابها وسد ثلمها وحشر إليها الأسواق والصناع وجمع فيها الآلات والمير واستعد للقاء طاهر ومحاربته. ولما بلغ طاهراً خبره توجه إليه حتى أشرف على همذان فخرج إليه عبد الرحمٰن فيمن معه على تعبئة فاقتتل الفريقان قتالاً شديداً إلى أن انهزم عبد الرحمٰن ودخل همذان فلبث فيها حتى قوي أصحابه واندملت جراحهم ثم خرج ثانية إلى اللقاء فلقيه طاهر وفعل به ما فعل في المرة الأولى فعاد إلى همذان فحصره فيها طاهر حتى جهد من قلة المادة فطلب الأمان له ولمن معه فأمنه طاهر.

ولما تم لطاهر هذا النصر طرد عمال محمد من قزوين.

كان ذلك سبباً لارتباك الفضل بن الربيع وشعوره بزوال الدولة فدعا أسد بن يزيد ابن مزيد وهو من قواد الدولة المعدودين وقال له: أنت فارس العرب وابن فارسها فزع إليك الأمين في لقاء هذا الرجل وأطمعه فيما قبلك أمران ـ أما أحدهما فصدق طاعتك وفضل نصيحتك والثاني يمن نقيبتك وشدة بأسك وقد أمرني بإزاحة علتك وبسط يدك فيما أحببت غير أن الاقتصاد رأس

النصيحة ومفتاح اليمن والبركة فانجز حوائجك وعجل المبادرة إلى عدوك فإني أرجو أن يوليك اللّه شرف هذا الفتح ويلم بك شعث هذه الخلافة والدولة ـ فلم يمتنع أسد وإنما طلب لجنده مطالب هي أن يؤمر لأصحابه برزق سنة ويخص من لا خاصة له منهم من أهل الغناء والبلاء وأبدل من فيهم من الزمنى والضعفاء وأحمل ألف رجل ممن معي على الخيل ولا أسأل عن محاسبة ما افتتحت من المدن والكور ـ فقال له الفضل: قد اشتططت ولا بد من مناظرة أمير المؤمنين ثم ركبا إليه فدخل عليه الفضل أولاً ثم دخل أسد فما كان بينهما إلا كلمتان حتى غضب الأمين وأمر بحبس أسد ـ ثم قال: هل في أهل بيت هذا من يقوم مقامه فإني أكره أن أستفسدهم مع سابقتهم وما تقدم من طاعتهم ونصيحتهم فقالوا: نعم فيهم أحمد بن مزيد وهو أحسنهم طريقة وأصلحهم نية في الطاعة وله مع هذا بأس ونجدة وبصر بسياسة الجنود ولقاء الحروب فاستدعاه محمد وقال له: إنه قد كثر علي تخليط ابن أخيك وتنكره وطال خلافه علي حتى أوحشني ذلك منه وولد في قلبي النهمة له وصيرني بسوء المذهب وحنث الطاعة إلى أن تناولته من الأدب والحبس بما لم أحب أن أكون أتناوله به وقد وصفت لي بخبر ونسبت إلي جميل فأحببت أن أرفع قدرك وأعلي منزلتك وأقدمك على أهل بيتك وأن أوليك جهاد هذه الفئة الباغية الناكثة وأعرضك للأجر والثواب في قتالهم ولقائهم فانظر كيف تكون؟ وصحح نيتك وأعن أمير المؤمنين على اصطناعك وسره في عدوه بنعم سرورك وتشريفك. ثم أمر الفضل أن يدفع إليه دفاتر أسد وأن يضم إليه من شهد العسكر من رجال الجزيرة والأعراب ـ فخرج أحمد فانتخب الرجال واعترض الدفاتر فبلغت عدة من معه عشرين ألف رجل ـ ووجه الأمين عبد اللّه بن حميد بن قحطبة في عشرين ألفاً أخرى وأمرهما أن ينزلا حلوان ويدفعا طاهراً عنها وتقدم إليهما في اجتماع الكلمة والتواد والتحاب على الطاعة ـ فتوجها حتى نزلا قريباً من حلوان بخانقين.

أما طاهر فإنه أقام بموقعه وخندق عليه وعلى أصحابه ودس العيون والجواسيس إلى عسكري عدوه فكانوا يأتونهم بالأراجيف ولم يزل يحتال في وقوع الخلاف بينهم حتى اختلفوا وانتقض أمرهم وقاتل بعضهم بعضاً فأخلوا خانقين ورجعوا عنها من غير أن يلقوا طاهراً فتقدم طاهر حتى نزل حلوان. ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى ورد عليه هرثمة بن أعين أحد قواد المأمون ومعه كتاب من المأمون والفضل بن سهل يأمره فيه بتسليم ما حوى من الكور والمدن إليه ويتوجه إلى الأهواز فسلم ذلك إليه وأقام هرثمة بحلوان فحصنها ووضع مسالحه ومراصده في طرقها وجبالها وتوجه طاهر إلى الأهواز ليكون الهجوم على بغداد من جهتين.

كان من سوء حظ الأمين أن عبد اللّه بن صالح بن علي الذي كان الرشيد قد حبسه، خلصه الأمين من سجنه فعد ذلك فضلاً منه وأراد مساعدته فطلب إليه أن يوليه الشام والجزيرة ليحضر إليه

جنداً من العرب قد ضرستهم الحروب وأدبتهم الشدائد فولاه ذلك فلما وصل إلى الرقة أنفذ كتبه إلى رؤساء الأجناد بالشام ووجوه الجزيرة فلم يبق أحد ممن يرجى ويذكر بأسه وغناؤه إلا وعده وبسط له في آماله وأمنيته فقدموه عليه رئيساً بعد رئيس وجماعة بعد جماعة وأتاه أهل الشام الزواقيل والأعراب من كل فج واجتمعوا عنده.

حصلت مشكلة تافهة بين جندي خراساني وجندي من الزواقيل، فتعصب لكل جماعته تعصباً أدى إلى التلاحم واستعد الأبناء وأتوا الزواقيل وهم غارون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة فتنادى الزواقيل وركبوا ونشبت الحرب بين الفريقين وكان عبد الملك بن صالح إذ ذاك مريضاً فوجه إليهم رسولاً يأمرهم بترك الحرب فرموا رسوله بالحجارة ولما أخبر بكثرة من قتل من العرب قال: وا ذلاه تستضام العرب في دارها ومحلها وبلادها. فكان ذلك بمثابة محضاً حرك إلى الشر من لم يركب من الأبناء وقام بأمرهم الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان. فلما رأى ذلك أهل الشام أجمعوا أمرهم على الرحيل إلى بلادهم فرحلوا قائلين: الموت الفلسطيني خير من العيش الجزري وأقام الحسين بمن معه من الأبناء.

انتهت هذه الفكرة بالفشل ولم يقف شرها عند هذا الحد فإن الحسين بن علي نادى في عسكره بالرحيل قاصداً بغداد فلما وصلها حض الأبناء الذين معه على خلع الأمين فأجابوه فتوجه بهم حيث يقيم الأمين ونادوا بخلعه في (١١) رجب (سنة ١٩٦) وأخذوا البيعة للمأمون في ثاني عشرة وغدا في الثالث عشر إلى الأمين في قصره وأخرجه منه محبوساً.

خاف كبار الأبناء تقدم علي بن عيسى فقام محمد بن أبي خالد وقال: أيها الناس ما أدري بأي سبب يتآمر علي بن الحسين علينا ما هو بأكبرنا سناً ولا أكرمنا حسباً ولا أعظمنا منزلة وإني أولكم نقض عهده فمن كان على رأيي فليعتزل معي وقام أسد الحربي ودعا من معه من الحربية إلى القيام بأمر محمد وفكه فتأثر الأبناء من هذه الأقوال وساروا إلى الحسين بن علي فأسروه ودخل أسد الحربي إلى الأمين ففك قيوده وأقعده في مجلس الخلافة وأتى الأمين بالحسين بن علي فلامه على ما كان منه مع إحسانه إليه وإلى أبيه وأخيراً عفا عنه ولكن ذلك لم يفد فإنه بعد العفو حاول الهرب من بغداد فأدرك وقتل.

هذه حال الاضطراب في جند الأمين أما جند المأمون فكان على العكس من ذلك كان هادئاً منتظماً لا تزيده الأيام إلاّ قوة. انقسم إلى قوتين قوة مع هرثمة بن أعين تريد بغداد من جادة المشرق وقوة مع طاهر بن الحسين تريد بغداد من جادة الأهواز والبصرة.

ذهب طاهر إلى فارس فاستولى عليها بعد أن أوقع بعاملها محمد بن يزيد المهلبي وقعة شديدة بسوق الأهواز وقتل محمد بن يزيد وكان ترتيب جند طاهر في مسيره وحربه حائزاً الغاية من

النظام والاحتراس فضلاً عما حازه من الاسم الكبير الذي يفت في الأعضاد.

أقام بفارس مدة أنفذ فيها العمال إلى الكور وولى على اليمامة والبحرين وعمان مما يلي الأهواز ومما يلي عمل البصرة ثم سار متوجهاً إلى واسط فجعلت المسالح والعمال تتقوض مسلحة مسلحة وعاملاً كلما قرب منهم طاهر تركوا أعمالهم وهربوا عنها حتى قرب من واسط فهرب عنها عاملها قائلاً إنه طاهر ولا عار في الهرب منه دخل طاهر واسطاً ومنها وجه قائداً إلى الكوفة وعليها العباس بن موسى الهادي فبادر إلى خلع الأمين ومبايعة المأمون وأرسل بذلك إلى طاهر فتم له ما بين واسط إلى الكوفة وأنفذ كتب التولية إلى العمال وكذلك بايع المأمون أمير البصرة وهو المنصور بن المهدي وكان ذلك كله في رجب (سنة ١٩٦).

ثم سار طاهر إلى المدائن فاستولى عليها من غير قتال.

في تلك الأثناء حصل في الحجاز ما زاد المأمون قوة والأمين خذلاناً ذلك أن داود بن عيسى كان عاملاً للأمين على مكة والمدينة فلما بلغه ما فعل الأمين من خلع المأمون وأخذه الكتابين اللذين كانا بجوف الكعبة وتمزيقهما جمع حجبة الكعبة والقرشيين والفقهاء ومن كان شهد على ما في الكتابين من الشهود وكان داود أحدهم فذكرهم بما كان الرشيد أخذ عليهم من العهود أن يكونوا مع المظلوم من ولديه على الظالم وأخبرهم أن محمداً كان الذي قد بدأ بالظلم فخلع أخويه وبايع لابنه الصغير لذلك رأيت خلعه وأن أبايع للمأمون فأجابه إلى ذلك أهل مكة وفي (٢٧) رجب (سنة ١٩٦) نادى داود في البيت الحرام بخلع الأمين وبيعة المأمون ثم كتب إلى ابنه سليمان وهو خليفة على المدينة يأمره أن يفعل بها فعل أهل مكة ففعل. ولما تم ذلك سار داود بنفسه إلى مرو وأعلم المأمون بما تم في الحجاز فسر المأمون جد السرور وتيمن ببركة مكة والمدينة وكتب إلى أهل الحجاز كتباً يعدهم فيها الخير ويبسط أملهم وأقر داود على ولاية الحجاز فعاد مغذاً ليدرك الحج ومر وهو عائد على طاهر بن الحسين فوجه معه يزيد بن جرير القسري والياً على اليمن وكان يزيد هذا داعية أهل اليمن إلى بيعة المأمون فأجابوه.

اجتمعت جيوش طاهر وهرثمة حول بغداد وحوصرت من ثلاث جهات فنزل هرثمة نهربين وأعد المجانيق والعرادات وأنزل عبيد اللّه بن الوضاح الشماسية ونزل طاهر البستان بباب الأنبار ونزل المسيب بن زهير قصر رقة كلواذى. وقد نصب المسيب المجانيق والعرادات واحتفر الخنادق وجعل يخرج في الأيام عند اشتغال الجند بحرب طاهر فيرمي بالعرادات من أقبل ومن أدبر ويعشر أموال التجارة ويجبي السفر ويلغ من الناس كل مبلغ.

أحس محمد بالضيق ومنعت عنه الأموال فأمر ببيع كل ما في الخزائن من الأمتعة وضرب آنية الذهب والفضة دنانير ودراهم وحملها لأصحابه في نفقاته.

وقد قاست هذه المدينة العظمى ودرة تاج الخلافة العباسية من هذا الحصار ما لم يكن يخطر لأحد على بال من الهدم والتحريق وسفك الدماء والجوع الشديد حتى درست محاسنها وكادت تمحى معالمها ونطقت ألسن شعرائها بوصف ما عليه الناس من الأحزان والمحن التي لا تحتمل وأحسنهم في ذلك عمرو بن عبد الملك العتري الوراق فمما قاله:

من ذا أصابك يا بغداد بالعين ... ألم تكوني زماناً قرة العين
ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم ... كان قربهم زيناً من الزين
صاح الغراب بهم بالبين فافترقوا ... ماذا لقيت بهم من لوعة البين
أستودع اللّه قوماً ما ذكرتهم ... إلا تحدر ماء العين من عيني
كانوا ففرقهم دهر وصدعهم ... والدهر يصدع ما بين الفريقين

وقال بعض فتيان بغداد:

بكيت دماً على بغداد لما ... فقدت غضارة العيش الأنيق
تبدلنا هموماً من سرور ... ومن سعة تبدلنا بضيق
أصابتها من الحساد عين ... فأفنت أهلها بالمنجنيق
فقوم أحرقوا بالنار قسراً ... ونائحة تنوح على غريق
وصائحة تنادي واصباحاً ... وباكية لفقدان الشفيق
حوراء المدافع ذات دل ... مضمخة المجاسد بالخلوق
تفر من الحريق إلى التهاب ... ووالدها يفر إلى الحريق
وسالبة الغزالة مقلتيها ... مضاحكها كلألأة البروق
حيارى كالهدايا مفكرات ... عليهن القلائد في الخلوق
ينادين الشفيق ولا شفيق ... وقد فقد الشفيق من الشفيق
قوم أخرجوا من ظل دنيا ... متاعهم يباع بكل سوق
ومغترب قريب الدار ملقى ... بلا رأس بقارعة الطريق
توسط من قتالهم جميعاً ... فما يدرون من أي الفريق
فلا ولد يقيم على أبيه ... وقد هرب الصديق بلا صديق
ومهما أنس من شيء تولى ... فإن ذاكر دار الرقيق

وكان الأمين قد استعان في حروبه بالعيارين والشطار والمجونين من أهل بغداد فكان الشر الذي أصاب المدينة منهم أكثر مما أصابها من العدو المهاجم وللخزيمي قصيدة طويلة تبلغ ١٣٥ بيتاً يصف فيها ما أصاب بغداد ويذكر أسباب تلك النكبات التي حلت استوفاها الطبري في

الجزء العاشر من تاريخه صحيفة ١٧٦ وما بعدها من طبع مصر يقول فيها:

يـا بـؤس بغـداد دار مملكـة ... دارت علـى أهلهـا دوائـرهـا
أمهلهـا اللّـه ثـم عـاقبهـا ... لمـا أحـاطـت بهـا كبـائـرهـا
بـالخسـف والقـذف والحـريـق وبـالـ ... ـحـرب التـي أصبحـت تسـاورهـا

ثم قال:

رق بهـا الـديـن واستخـف بـذي ... الفضـل وعـز النـاك فـاجـرهـا
وخطـم العبـد أنـف سيـده ... بـالـرغـم واستعبـدت مخـادرهـا
وصـار رب الجيـران فـاسقهـم ... وابتـز أمـر الـدروب زاعـرهـا

وقال العتري:

النـاس فـي الهـدم وفـي الانتقـال ... قـد عـرض النـاس بقيـل وقـال
يـا أيهـا السـائـل عـن شـأنهـم ... عينـك تكفيـك مكـان السـؤال
قـد كـان للـرحمٰـن تكبيـرهـم ... فـاليـوم تكبيـرهـم للقتـال
اطـرح بعينيـك إلـى جمعهـم ... وانتظـر الـروح وعـد الليـال
لـم يبـق فـي بغـداد إلا امـرؤ ... حـالفـه الفقـر كثيـر العيـال
لا أم تحمـي عـن حمـاهـا ولا ... خـال لـه يحمـي ولا غيـر خـال
ليـس لـه مـال سـوى مطـرد ... مطـرده فـي كفـه رأس مـال
هـان علـى اللّـه فـأجـرى علـى ... كفيـه للشقـوة قتـل الـرجـال
إن صـار ذا الأمـر إلـى واحـد ... صـار إلـى القتـل علـى كـل حـال
مـا بـالنـا نقتـل مـن أجلهـم ... سبحـانـك اللهـم يـا ذا الجـلال

استمرت هذه الشدائد على بغداد وما فيها حتى استنفد الأمين كل وسائل الدفاع أيقن العطب إن هو استمر على الممانعة فاستشار من بقي من قواده فأشار عليه بعضهم أن يطلب لنفسه الأمان من هرثمة بن أعين ويسلم له فرضي وكتب إلى هرثمة بذلك فأجابه إليه ولما علم طاهر أبى إلا أن يكون خروجه إليه إذا شاء ولما لم يكن الأمين ميالاً إلى الخروج إلى طاهر اتفق القواد أن يخرج ببدنه إلى هرثمة وأن يدفع إلى طاهر الخاتم والقضيب والبردة ثم علم طاهر أنهم يمكرون به فاستعد للأمر وكمن حول القصر كمناء بالسلاح فلما خرج الأمين كانت حراقة هرثمة تنتظره فركبها ولم تسر بهم إلا قليلاً حتى خرج أصحاب طاهر فرموا الحراقة بالسهام والحجارة فانكفأت الحراقة وغرق هرثمة ومحمد الأمين فأما هرثمة فأدركه أصحابه وأما محمد فسبح في الماء حتى أدركه أصحاب طاهر فأسروه فأمرهم طاهر بقتله فقتل ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم (سنة ١٩٨)

وفي الصباح كتب طاهر إلى المأمون يخبره بما تم وبالأسباب التي جعلته يأمر بقتل الأمين ثم دخل طاهر المدينة فأمن أهلها وهدأ الناس وكان دخوله إليها يوم الجمعة فصلى بالناس وخطبهم خطبة بليغة حضهم فيها على الطاعة ولزوم الجماعة ورغبهم في التمسك بحبل الطاعة وانصرف إلى معسكره.

بذلك انتهى الفصل الأول من هذه الحادثة الشنيعة التي فرقت بين الأمة، وأحدثت هذه الثورة الهائلة.

أما سببها وتبعتها فعائدان إلى هارون الرشيد أولاً، ثم إلى الفضل بن الربيع ثانياً. أما الرشيد فإنه غلط في فعله غلطات. الأولى: أنه ولى عهده أولاً محمد الأمين والمأمون أسن منه ولم يكن ما يزيد الأمين إلا أنه ابن زبيدة وليس هذا من الأسباب المرجحة في نظر العقلاء وإنما هو مرجح في نظر الضعفاء الذين يتأثرون بالهوى. الثانية: أنه لما أحس بهذه الغلطة أراد مداواتها ففعل ما يزيدها شراً بتولية المأمون للعهد بعد الأمين ولم يقتصر على مجرد توليه العهد بل أعطاه من الامتيازات ما يجعله مستقلاً تمام الاستقلال بأمر خراسان والري عن أخيه الأمين ومن المعلوم أنه كلما كثرت الامتيازات كثرت المشاكل وأسباب الفساد والأمين والمأمون وإن كانا أخوين يتنافسان فالأول يميل أن يتمتع بسلطان الخلافة التام، والثاني يميل أن يتمتع بامتيازاته تماماً ولكل منهما جيش يتصرف فيه كما يرغب فلم يكن يظن أن يبقى لهذين صفاء متى حانت وفاة الرشيد وقد أدرك المفكرون ذلك في حياته. الثالثة: أنه لم يقتصر عليهما في ولاية العهد فأضاف إليهما أخاً ثالثاً وأعطاه من الامتيازات الجزيرة وأرمينية ما أعطى المأمون في خراسان؛ فجرأ ذلك الأمين على نقض العهد لأنه نظر فرأى نفسه مقصوص الجناحين منزوعاً منه السلطان في أعظم بقاع الإسلام وأكثرها أعواناً وجنداً. الرابعة: أنه اغتر بالفضل بن الربيع الذي جرأه على إفساد ملكه بقتل البرامكة والحرمان من مقدرتهم وكفاءتهم ولم يتبين خبث نية الرجل واستمر على الاستعانة به حتى عاد سيرته الأولى في عهد الأمين فإنه هو الذي اجتهد في إغرائه بأخيه لأنه ظن أن المأمون إذا تولى أخذه بتبعة نكثه لعهده مع الرشيد وسيره بالجنود التي كانت مع الرشيد إلى بغداد مع أن الرشيد عهد بها إلى المأمون فما زال يحتال في الإفساد حتى أوقع هذه الاضطرابات. ولما اشتد الأمر على الأمين لم يفده فائدة بل اختفى وكان كالشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف اللّه رب العالمين.

يضاف إلى ذلك كله ما في طباع الخلفاء من ميلهم إلى أن يكون بعدهم في الخلافة أبناءهم فهم يحتالون بكل ما في وسعهم إلى إخراج إخوتهم أو بني أعمامهم من العهد إن كان، ولم نر خليفة له ابن فلم يسع له ذلك السعي ولم نجد عهداً أو عقداً منع من ذلك حتى كان هذا مجرئاً

للخلفاء على عدم الاعتناء بالعهود المكتوبة وصاروا يفتحون لها من أبواب الحيل ما يبيح لهم عدم التمسك بها والرشيد نفسه يعلم ذلك بما وقع له من أخيه الهادي وقد كاد يظفر به ويخرجه من ولاية العهد لولا أن المنية غلبت مع أن الرشيد لم يكن له شيء من الامتياز أعطاه إياه المهدي أبوه؛ نسأل اللَّه السلامة من عدم الاعتبار والاتعاظ فهما المهلكة العامة.

صفات الأمين:

امتدت ألسنة الكتاب والشعراء بعد خلع الأمين وقتله إلى القدح إليه وتعديد مثالبه التي أودت به وهذه سنة قديمة أن الناس مع من يساعده القدر فهم أبداً مع القاهر على المقهور لأن للقوة سلطاناً على النفوس لا يغالب وهذا نموذج مما قيل في هجاء الأمين:

لم نبكِ لماذا للطرب ... يا أبا موسى وترويج اللعب
ولترك الخمس في أوقاتها ... حرصاً منك على ماء العنب
وشنيف أنا لا أبكي له ... وعلى كوثر لا أخشى العطب
لم تكن تعرف ما حد الرضا ... لا ولا تعرف ما حد الغضب
لم تكن تصلح للملك ولم ... تعطك الطاعة بالملك العرب
أيها الباكي عليه لا بكت ... عين من أبكاك إلا للعجب
لم نبكِ لما عرضتنا ... للمجانيق وطوراً للسلب
ولقوم صيرونا أعبدا ... لهم يبدو على الرأس الذنب
في عذاب وحصار مجهد ... سدد الطرق فلا وجه طلب
زعموا أنك حي حاشر ... كل من قد قال هذا قد كذب
ليت من قد قاله في وحدة ... من جميع ذاهب حيث ذهب
أوجب اللَّه علينا قتله ... فإذا ما أوجب الأمر وجب
كان واللَّه علينا فتنة ... غضب اللَّه عليه وكتب

ومع هذا فقد رثاه كثير من الشعراء ومدحوه وسنترك هذا وهذا ونفحص صفاته من أعماله.

أول ما عرف من عمل الأمين إرادته الغدر بأخيه والرمي بعهد الرشيد وراء ظهره، فقد أخذ العهدين من البيت الحرام ومزقهما تمزيقاً غير ناظر إلى ما وراء ذلك من العواقب الوخيمة في نظر الجمهور إذ ليس أعظم في نظر المسلم من انتهاك حرمة البيت المقدس ولا انتهاك أعظم من إفساد أمر دبر فيه وجعل البيت الحرام حارساً عليه على أن الغدر في ذاته بقطع النظر عن ذلك كله قبيح وضار بحياة الأمة الأدبية فلا غرابة أن رأينا جمهور الأمة في صف أخيه.

ولما دخل هذا المدخل الوعر المسلك لم يسر فيه بشيء من الحزم ولا بعد النظر بل كان أول قائد ولاه حرب أهل خرسان أعدى عدو لهم من جربوه فوجدوه ظالماً عاتياً يستحل أموالهم ويضرب أبشارهم وهو علي بن عيسى بن ماهان أمير خراسان في عهد الرشيد فكان ذلك مما زاد أهل خراسان جداً في محاربته والضربة الأولى مما يدخل الوهن والخذلان على المضروب ويزيد في حماسة الغالب وتفاؤله بالمستقبل.

ومع هذا الغلط كان الأمين مشتغلاً عن تدبير أمره بما كان فيه من اللهو والعبث شتان بين تدبيره وتدبير أخيه فبينا كان هو على هذا الطريق كان أخوه المأمون بمرو يجمع إلى مجلسه العلماء والفقهاء ويجلس معهم كما يجلسون ويتكلم معهم في الفقه والأدب والحديث حتى أشربت قلوبهم محبته ولا يخفى ما لهذا من التأثير في قلوب الجمهور.

يقال إن محمداً لما تولى وجه إلى جميع البلدان في طلب الملهين وضمهم إليه وأجرى لهم الأرزاق ونافس في ابتياع فره الدواب وأخذ الوحوش والسباع والطير وغير ذلك واحتجب عن إخوته وأهل بيته وقواده واستخف بهم وقسم ما في بيوت الأموال وما بحضرته من الجوهر في خصيانه وجلسائه ومحدثيه وحمل إليه ما كان في الرقة من الجوهر والخزائن والسلاح وأمر ببناء مجالس لمنتزهاته ومواضع خلوته ولهوه ولعبه بقصر الخلد والخيزرانية وبستان موسى وقصر عبدويه وقصر المعلى ورقة كلواذى وباب الأنبار ونبارى والهوب وأمر بعمل خمس حراقات في دجلة على خلقة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس، وأنفق في عملها مالاً عظيماً فقال أبو نواس يمدحه:

سخر اللّه للأمين مطايا ... لم تسخر لصاحب المحراب
فإذا ما ركابه سار براً ... سار في الماء راكباً ليث غاب
أسداً باسطاً ذراعيه يهوى ... أهرت الشدق كالح الأنياب
لا يعانيه باللجام ولا السو ... ط ولا غمر رجله في الركاب
عجب الناس إذ رأوك على صو ... رة ليث تمر مر السحاب
سجدوا إذ رأوك سرت عليه ... كيف لو أبصروك فوق العقاب
ذات زور ومنسر وجناح ... حين تشق العباب بعد العباب
تسبق الطير في السماء إذا ما اس ... تعجلوها بجيئة وذهاب
بارك اللّه للأمين وأبقا ... وأبقى له رداء الشباب
ملك تقصر المدائح عنه ... هاشمي موفق للصواب

جميع ما وقفنا عليه من أخبار الأمين وسيره أنه كان يميل جداً إلى اللهو والغناء والشرب

حتى أقعده ذلك عن التدبير لأموره. هذا مع أنه ممتاز على بني العباس قاطبة بأنه هاشمي الأبوين ولكن ليس بحسن الأنساب تعلو الرجال وإنما علوها بحسن الفعال.

٧ ـ المأمون

هو عبد اللّه المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي. وأمه أم ولد اسمها مراجل ولد (سنة ١٧٠) في اليوم الذي ولي فيه أبوه الخلافة. وولاه أبوه العهد وسنه (١٣ سنة) بعد أخيه الأمين وضمه إلى جعفر بن يحيى وولاه خراسان وما يتصل بها إلى همذان ومنحه بمقتضى الشروط التي عقدها استقلالاً يكاد يكون تاماً؛ ولما توفي أبوه لم يف له أخوه بعده بل أراد أن يقدم عليه في ولاية العهد ابنه موسى فأبى ذلك المأمون وكان من وراء ذلك الحرب الفظيعة التي قصصنا خبرها وهي التي انتهت بقتل الأمين في (٢٥) محرم (سنة ١٩٨) (٥ سبتمبر سنة ٨١٣).

بويع المأمون بالخلافة العامة في ذلك التاريخ واستمر خليفة إلى أن توفي غازياً بطرسوس في (١٩) رجب (سنة ٢١٨) (١٠ أغسطس سنة ٨٣٢) فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام. أقام منها ببلاد خراسان من تاريخ ولايته إلى منتصف صفر (سنة ٢٠٤) وهو تاريخ قدومه بغداد وأقام الباقي ببغداد حاضرة الخلافة العباسية وكان يعاصره في بلاد الأندلس الحكم بن هشام ثالث أمراء بني أمية (١٨٠ ـ ٢٠٦) ثم ابنه عبد الرحمٰن الثاني (٢٠٦ ـ ٢٣٨).

ويعاصره في بلاد المغرب الأقصى إدريس بن إدريس بن عبد اللّه سنة (١٨٨ ـ ٢١٣) ثم ابنه محمد بن إدريس (٢١٣ ـ ٢٣١).

ويعاصره في إفريقية من بني الأغلب عبد اللّه بن إبراهيم بن الأغلب (١٩٦ ـ ٢٠١) ثم ابنه زيادة اللّه بن إبراهيم فاتح صقلية (٢٠١ ـ ٢٢٣).

ويعاصره في فرنسا شارلمان صديق أبيه وقد توفي سنة (٨١٤) ثم لويز الأول الملقب باللين.

ويعاصره في القسطنطينية ليون الأرمني (٨١٣ ـ ٨٢٠) ثم ميخائيل الثاني الملقب بالتام ثاني مرة (٨٢٠ ـ ٨٢٩) ثم ابنه توفيل (٨٢٩ ـ ٨٤٢).

الأحوال في المدة الأولى:

لما تم الأمر للمأمون بالعراق على يد القائدين العظيمين طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين كان الذي يدير الأمر بمرو الفضل بن سهل الذي يرى لنفسه الفضل الأكبر في تأسيس دولة المأمون فأراد أن يستفيد من هذه الدولة فيستأثر بنفوذ الكلمة فيها وليس يتم له ذلك والعراق بين يدي طاهر وهرثمة فأصدر أمرين على لسان المأمون أولهما بتولية الحسن بن سهل جميع ما افتتحه طاهر من